

الصلابة النفسية عند الأطفال وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية

د. لساناء جمل علي *

مقدمة:

تُعد الأسرة هي الوحدة البيولوجية والنفسية والاجتماعية الأولى التي ينمو فيها الفرد ويتفاعل مع أعضائها ويكتسب منها معايير المجتمع وقيمه وعاداته وتقاليده، فالطفل على حد تعبير "دوركايم" يُولد صفحةً بيضاء خالية من المعارف والخبرات والسلوكيات الاجتماعية، وتتولى الأسرة والوالدان على وجه الخصوص تحويله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما من مولودٍ إلا ويُولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (صحيح البخاري، الحديث رقم 1358)، ولا شك أن هذا الحديث يؤكد أهمية التنشئة الاجتماعية في تكوين معتقدات ومدرجات الفرد منذ مراحل الطفولة الأولى.

فالأُسرة تُؤدى دوراً مهماً وإيجابياً في صقل شخصية الفرد وتكوينها لبناء ذاته الداخلية، فهي تمثل المدرسة الأولى التي تقوم بعملية التنشئة والبناء النفسي والاجتماعي للفرد؛ إذ تزوده بالأسس التي تُبنى عليها شخصيته وعوامل المقاومة النفسية اللازمة لمواجهة صعوبات وضغوط الحياة والتكيف معها، فيتعلم كيف ينظر إلى ذاته وكيف يتعامل مع المشكلات التي تواجهه، وكيف يتعامل مع الناس المحيطين به، كما يتعلم المسؤولية، وحرية الرأي وما له من حقوق وما عليه من واجبات، ويتعرف إلى الأساليب السلوكية التي يجب عليه أن يسلكها كأسلوب في حياته. (شفيق رضوان، 2008).

والحياة بتغييراتها السريعة والمتلاحقة لا تخلو من الضغوط والصعوبات التي تواجهنا جميعاً صغاراً وكباراً، في كل مجال سواء في مجال الدراسة أو العمل أو المجال الاجتماعي؛ ولذلك علينا باعتبارنا متخصصين وآباء وأمهات أن نغرس في أبنائنا عوامل الوقاية والمقاومة النفسية؛

* استشاري الصحة النفسية وتطوير الذات، كلية الآداب - قسم علم النفس - جامعة عين شمس - مصر.

لينشئوا متمتعين بالصحة النفسية وأكثر قدرة على مواجهة صعوبات الحياة، فالتنشئة الاجتماعية السليمة هي من أهم دعائم الصحة النفسية للفرد خاصة في مراحل الطفولة والمراهقة، وهي التي تغرس البذور الأولى في شخصية الطفل وتعزز لديه عوامل الوقاية والمقاومة النفسية.

هدف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف إلى أفضل الأساليب الوالدية التي يستخدمها الآباء في التنشئة الاجتماعية للطفل، والتي تُسهم في تنشئته بطريقة سوية ليكون متمتعاً بالصحة النفسية وعوامل اللياقة النفسية، التي تُكسبه مزيداً من الصلابة والمناعة النفسية ليتمكن من مواجهة صعوبات وتحديات الحياة؛ ومن أهم عوامل اللياقة والمناعة النفسية التي يجب على الآباء تنميتها في أبنائهم هي الصلابة النفسية التي سنتعرف إليها في السطور التالية.

الصلابة النفسية:

تُعدُّ ضغوط الحياة وأحداثها الحرجة جزءاً من طبيعة الوجود الإنساني وركناً أساسياً من أركان الحياة بجوانبها الموجبة والسالبة، ولا تخلو الحياة منها وتزداد الضغوط كماً وكيفاً مع تعقد الحضارة وتسارع إيقاع العصر وتحدياته، وتصل هذه الظاهرة إلى حد استهداف الإنسان في صحته الجسمية والعقلية والنفسية وتعرض سبل طموحاته ورغباته وتلبية احتياجاته، ولو كانت تلك الضغوط يمكنها أن تؤثر سلباً على شخصية وصحة الشخص البالغ، فمن المؤكد أنها تؤثر بدرجة أكبر على الطفل منذ بداية دخوله معترك الحياة اليومية في سن المدرسة، واختلاطه مع أنواع مختلفة من الشخصيات التي نشأت في بيئات تختلف عن بيئته، وهو ما يمكن أن يحدث تغيرات متلاحقة في القيم لديه؛ مما يضاعف من حدة وقع أزمات النمو ويجعل الطفل يشعر بالاعتراب والعجز واليأس والتشاؤم والفشل.

ولقد أشارت كوبازا Kobasa إلى أن تعرضنا للضغوط أمر حتمي لا مفر منه، فواقع الحياة محفوف بالعقبات والصعوبات وأشكال الفشل والنكسات والظروف غير المواتية، ونحن لا نستطيع تجنب الفشل أو الإحباط أو الشعور بالاعتراب، ولا يمكننا الهروب من متطلبات التغيير في النمو الشخصي في أي مرحلة من مراحل حياتنا المعاصرة؛ أي لا حياة من دون ضغوط، وحيث توجد الحياة توجد الضغوط، (Kobsa 1982:707).

ويرى هوليهان وموس (1990) Holahan & Moos أن البحث في مجال الضغوط يجب

أن يتحول إلى التركيز على متغيرات المقاومة، التي تجعل الأفراد يحتفظون بالصحة الجسمية والنفسية رغم تعرضهم المباشر لهذه الضغوط؛ أي يجب أن يتحول إلى دراسة المصادر النفسية كالصلابة النفسية، تقدير وإدارة الذات، والضبط الداخلي؛ وكذلك المصادر النفسية الاجتماعية كالمساندة الاجتماعية، وعوامل التنشئة الاجتماعية التي تجعل الفرد يقيّم الضغوط تقييماً واقعياً، كما أنها تجعله أكثر نجاحاً وفاعلية في مواجهتها؛ لما لها من تأثير واضح على الجوانب المعرفية والانفعالية والاجتماعية (عماد مخيمر، 1996 : 275).

وقد توصلت كوبازا (1979) إلى أن الأشخاص الأكثر صلابة هم أكثر صموداً ومقاومةً وإنجازاً وضبطاً داخلياً وقيادةً ومبادأةً ونشاطاً ودافعية، وهذا يؤكد صحة فروض نظرية كوبازا التي أشارت إلى أن الصلابة النفسية ومكوناتها تعمل كمتغير نفسي يخفف من وقع الأحداث الضاغطة على الصحة النفسية والجسمية للفرد، ويساعدهم على الاستمرار في العمل والإنتاجية والنجاح خلال مسار حياتهم، وتجعلهم أكثر مرونة ووعي وتحكم في اختياراتهم المختلفة وأكثر قدرة على المواجهة والصمود أمام عقبات الحياة، فالأشخاص الأكثر صلابة يتعرضون للضغوط ولا يمرضون أو تتوقف حياتهم بسببها.

كما أكد توماس، Thomas 1998 أن الأفراد الذين يتمتعون بالصلابة النفسية هم الأكثر نشاطاً وتحملاً للأعباء، ويمتلكون استراتيجيات لمواجهة الصعوبات الحياتية وأنهم أكثر قدرة على التحكم والتحدي، وذلك على النقيض من الأفراد الذين لا يمتلكون الصلابة النفسية فهم يتجهون إلى سلوك التجنّب وقت وقوع الحوادث أو مواجهة المشكلات أو التعرض للضغوط؛ سواء في مجالات العمل أو في مواقف الحياة المختلفة. (مخيمر، 2011).

أولاً: مفهوم الصلابة النفسية Psychological Hardiness:

عرّفها بروكس (2003) Brooks على أنها "قدرة الفرد على التعامل بفعالية مع الضغوط النفسية والقدرة على التكيف مع التحديات والصعوبات اليومية، والتعامل مع الإحباط والأخطاء، والصدمات النفسية والمشاكل اليومية لتطوير أهداف محددة وواقعية لحل المشاكل والتفاعل بسلاسة مع الآخرين واحترام الذات والآخرين".

كما عرّفها فانك 1992 Funk بأنها "خصلة عامة في الشخصية تعمل على تكوينها وتنميتها بالخبرات البيئية المتنوعة المحيطة بالفرد منذ الصغر".

وعرّفها كوبازا بأنها "مجموعة من خصائص الشخصية وظيفتها مساعدة الفرد في المواجهة الفعالة للضغوط، وهي تتكون من الالتزام والتحكم والتحدي".

كما عرّفها بينز Pines بأنها "اعتقاد عام لدى الفرد في فاعليته وقدرته على استخدام كل المصادر النفسية والبيئية المتاحة؛ كي يدرك ويفسر ويواجه بفعالية أحداث الحياة الضاغطة".

وعرّفها كوزي Cozzi "بأنها متغير نفسي يساعد الفرد على تحمل الضغوط والإحباطات ومواجهتها بنجاح حتى يتم تحقيق الأهداف" (مخير، 2011: 39).

وعرّفها البهاص 2002 بأنها "إدراك الفرد وتقبُّله للتغيرات أو الضغوط النفسية التي يتعرض لها، فهي تعمل كوقاية من العواقب الجسمية والنفسية للضغوط، وتُسهم في تعديل العلاقة الدائرية التي تبدأ بالضغوط وتنتهي بالنهك النفسي باعتباره مرحلة متقدمة من الضغوط".

ويُعرّفها لاتسي Latcy على أنها "توقُّع للكفاءة الذاتية عند الفرد عن قدرته على مواجهة الضغوط والمشكلات، وهو يستعين بمفهوم الكفاءة الذاتية الذي افترضه بانورا، والذي يقرر بأن الأشخاص الذين لديهم مستوى عالٍ من الكفاءة الذاتية يميلون إلى القيام بسلوكيات تقود إلى نتائج ناجحة لاعتقادهم بقدرتهم على القيام بذلك" (حمادة وعبد اللطيف، 2002: 235).

ثانياً: نشأة مفهوم الصلابة النفسية ودور الوالدين في تنميتها:

نشأ مفهوم الصلابة النفسية على يد الأمريكية سوزان كوبازا Kobasa، أثناء إعدادها لرسالة الدكتوراه تحت إشراف أستاذها مادّي Maddi بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية والتي انتهت منها في سنة 1977. (مخير، 2011: 11)

فقد استطاعت كوبازا من خلال سلسلة من الدراسات التي أجرتها أعوام 1979، 1982، 1983، 1985، الكشف عن مفهوم الصلابة النفسية بوصفه مُتغيِّراً يساعد الفرد على الاحتفاظ بصحته النفسية والجسمية عند تعرضه للأحداث الضاغطة، وأثبتت دوره الفعال في إدراك الأحداث الشاقة وتفسيرها على نحوٍ إيجابي، وأنها تشارك إلى حدٍ كبيرٍ في ارتقاء الفرد ونضجه الانفعالي وزيادة خبراته في مواجهة المشكلات الشاقة؛ لذا يجب إلقاء الضوء على نشأة مفهوم الصلابة النفسية لدى الفرد وكيفية تكوينه؛ حيث إن معظم الباحثين قد أعطوا أهمية كبيرة للعوامل الخارجية في تكوين هذه السمة ونموها وارتقائها عبر مراحل العمر المختلفة بداية من الأسرة وحتى الأقران، فقد تحدث عنها إريكسون 1983 موضحاً أهمية الدور الأساسي الذي

يلعبه الوالدان في تكوين هذه السمة، فمن خلال إشباعهم للحاجات الأساسية للطفل منذ الصغر بالإضافة إلى إشباعهم للحاجات الثانوية، فالحاجة إلى الحب والحنان والشعور بالدفء يُشعر الطفل بالأمان والقيمة الذاتية وبالثقة بالنفس وبالآخرين في مراحل العمرية التالية، وهو ما يترتب عليه نجاحه في علاقاته بالآخرين واختيار طريقه في الحياة بوعي وعدم استسلامه للضغوط والعقبات التي تواجهه. (مخيمر، 1996 : 278).

ثم جاء الاتجاه المعرفي عند لازاروس 1986 Lazarous الذي أكد آراء إريكسون وأضاف إليها، مشيراً إلى أن احترام الوالدين لآراء الطفل منذ الصغر، ووضع مستوى مناسب من التواصل بينهم وبينه، بالإضافة إلى تقديرهما لإنجازاته البسيطة وتشجيعه على الاعتماد على نفسه عند أداء متطلباته الشخصية، يُشعر الطفل بالأمان وبالقيمة الذاتية ويجعله أكثر تحملاً للمسئولية وأكثر قدرة على تحديد أهدافه في مراحل العمرية، أما في حالة رفض الأسرة لآراء الطفل وإنجازاته، وفرض الوالدين لآرائهم، فإن ذلك يشعر الطفل بالخوف ويجعله يتوقع حدوث الخطر باستمرار كما يفقده الثقة بنفسه وبالآخرين، حيث أن كل ما تقدمه الأسرة للطفل من أساليب تربوية تتحكم في طريقة إدراكه للحياة وطريقة تعامله مع المواقف في مراحل العمرية التالية. (جودة، 2002 : 40).

وقد أيد ماكوبي Maccoby آراء من سبقه من العلماء والدارسين فيما يخص منشأ سمة الصلابة، وذلك من خلال دراسته التي أجراها عام 1980 بهدف معرفة دور البيئة الأسرية في تكوين سمة الصلابة فيما بعد عند مواجهة الضغوط الحياتية والتعايش معها، وقد أشارت نتائج هذه الدراسة إلى أن العلاقات الأسرية التي تتسم بالدفء والقبول والاهتمام بالطفل والثقة فيه والاحترام والتقدير له تُنمي لديه الاعتقاد بأن خبرات النجاح والفشل ترجع لعمله ومجهوده، ومدى مثابرتة وتحديه للأحداث الشاقة المحيطة به. (حمزة، 2002 : 33).

ويرى كوليراك Colerick أن "أبعاد الصلابة النفسية تكون في حالة نمو مستمرة مع التقدم في العمر، فكلما تقدم الشخص في العمر زادت درجة صلابته، فهو يتعلم كيفية التعامل مع أحداث الحياة، ويتم ذلك من خلال محاولات النجاح والفشل، فضلاً عن تعلمه لأنماط من السلوك تتراكم مدى الحياة بدءاً من طفولته، مروراً بالمراهقة وتعرضه للتغيرات النفسية والبيولوجية المختلفة وحتى سن النضج، وتتوقف درجة صلابته على مدى توازن الوالدين في أساليب التنشئة الاجتماعية التي يتبعانها معه. (الدبور، 2007 : 31).

وتؤكد كوبازا (1979) دور التعلُّم الاجتماعي من الأسرة في ظهور هذه السمة لدى الأبناء كمتغير وقائي ومقاوم للضغوط، ويساعد على الصحة النفسية والجسمية، كما أيد Lurwin & Sandler آراء كوبازا من خلال دراستيهما على عينة قوامها 258 طفلاً من ذوي الأسر المفككة، وأظهرت نتائجها أن وجود نماذج والدية سلبية في حياة الطفل تتسم بالضعف في مقاومة أوجه المشقة والصعوبات الحياتية، خلال مسيرة الحياة ربما تُسهم في تكوين الخصال الشخصية السلبية لديه فيما بعد. (الدبور، 2007 : 31).

ولذا؛ فإن الصلابة النفسية هي سمة تُكتسب في مراحل مبكرة جداً من العمر تصنع الأسرة الكثير من جوانب تكوينها، كما تسهم البيئة الاجتماعية المحيطة بما تتضمنه من زملاء ومؤسّسات اجتماعية كالمدرسة ودور العبادة وغيرها من القوالب التي يمارس فيها الفرد نشاطه الاجتماعي، في إنمائها وارتقائها عبر المراحل العمرية المختلفة.

ثالثاً: أهمية الصلابة النفسية

تعد الصلابة النفسية أحد العوامل المهمة والأساسية من عوامل الشخصية في تحسين الأداء النفسي والصحة النفسية والبدنية؛ وكذلك المحافظة على السلوكيات الصحية، وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أهمية الصلابة النفسية كأحد عوامل المقاومة ضد الضغوط والأزمات التي يواجهها الفرد بداية من مرحلة الطفولة والتعرض للتنمُّر أو العنف المدرسي أو المشاكل الأسرية الضاغطة، فالصلابة النفسية مركب مهم من مركبات الشخصية التي تقي الإنسان من آثار الضغوط الحياتية المختلفة، وتجعل الفرد أكثر مرونةً وتفاؤلاً وقابليّةً للتغلب على مشاكله الضاغطة، حيث تجعل الفرد يقيّم الضغوط تقييماً واقعياً، كما أنها تجعله أكثر نجاحاً وفعالية في مواجهة مواقف الحياة المختلفة، كما تعمل الصلابة كعامل حماية من الأمراض الجسدية والإضطرابات النفسية. (راضي، 2008 : 51).

كما تكمن أهمية الصلابة النفسية في كونها تعمل على مقاومة الصعوبات والشدائد التي يتعرض لها الفرد خلال مسيرة حياته في العمل والدراسة وحتى بيئته الاجتماعية، حيث تقف الصلابة النفسية كسدٍّ منيعٍ لحمايته من تلك الصعوبات والمواقف الضاغطة التي تواجهه في مختلف جوانب الحياة؛ لتحويلها إلى مواقف وخبرات مفيدة وتجعل منه فرداً قادراً على مواجهة التحديات والصعوبات وأكثر قدرة وسيطرة لتفادي آثارها السلبية. (علوي، 2012 : 29).

وتوضح كوبازا أن الصلابة النفسية مفيدة لمقاومة الضغوط والإنهاك النفسي حيث أنها تعدل من إدراك الفرد للأحداث الضاغطة وتجعلها أقل أثراً، فتكسب الفرد قدرًا من المرونة؛ لذا فالصلابة النفسية تزيد من قدرات الفرد على مواجهة الضغوط المختلفة؛ وكذلك الوقاية من الإنهاك النفسي.

وقد قدمت كوبازا عدة تفسيرات توضح السبب الذي يجعل الصلابة النفسية تخفف من حدة الضغوط التي تواجه الفرد، ويمكن فهم تلك العلاقة من خلال فحص أثر الضغوط على الفرد، حيث ترى كوبازا ومادّي أن الأحداث الضاغطة تقود إلى تسلسل دائري من الاضطرابات النفسية والجسدية، تبدأ من الضغط النفسي المتكرر الذي يقود إلى النهك النفسي، وهنا يأتي دور الصلابة النفسية في تعديل التسلسل الدائري، ويتم ذلك من خلال عدة طرق:

- 1- تعدل الصلابة من إدراك الأحداث وتجعلها تبدو أقل وطأة.
- 2- تؤدي إلى أساليب مواجهة نشطة أو تنقل الضغط من حاد إلى عادي.
- 3- تؤثر على أسلوب المواجهة بطريقة غير مباشرة من خلال تأثيرها العام على الدعم الاجتماعي.
- 4- تقود إلى التغيير في الممارسات الصحية مثل اتباع نظام غذائي صحي وممارسة الرياضة، وهذا بالطبع يقلل من الإصابة بالأمراض الجسمية. (حمادة وعبد اللطيف، 2002 : 236-137).

رابعاً: أبعاد الصلابة النفسية:

توصلت كوبازا في دراساتها إلى أن الصلابة هي نوع من المقاومة النفسية لها ثلاثة أبعاد مشتركة ومرتبطة معاً وهي التحكم والالتزام والتحدي، حيث يتم النظر إلى عنصر التحكم على أنه ميل للتفكير والتصرف كشخص لديه القدرة على التأثير في مواقف الحياة، بدلاً من أن تؤثر فيه وتضغط عليه وتضعف مقاومته، فقدرته على التحكم في المواقف التي يمر بها تجعله أكثر تأثيراً بتحويلها لمواقف إيجابية لصالحه، والالتزام هو احتمال أن يشارك المرء في أحداث الحياة وأن تكون لديه رغبة واهتمام حقيقيين للمشاركة في الأنشطة والمواقف الحياتية تجاه نفسه والآخرين، أما التحدي فهو الاعتقاد بأن مواقف الحياة هي طرق للنمو والتنمية وليست لإعاقة مسيرته في الحياة وتترسخ تلك الأبعاد في شخصية الفرد منذ مراحل نموه الأولى؛ خاصة مرحلة الطفولة المبكرة والمتأخرة ومرحلة المراهقة وتتأثر وتتأثر مباشرةً بالتنشئة الاجتماعية للفرد.

ومن هنا إذا كان لدى الأفراد سيطرة كاملة من خلال تلك الأبعاد (التحكم، الالتزام، التحدي)، فسيؤثرون بشكل مستمر على النتائج بغض النظر عن صعوبة الأمور، وهؤلاء الأفراد يميلون إلى تجنب الضعف والخمول، وكلما كان الفرد قادراً على التحدي، تعامل مع الضغوط والصعوبات التي تمر به على أنها جزء طبيعي من الحياة واعتبرها إحدى سبل التعلم؛ لأنه يراها كتجربة حياتية وليست مشكلة معوقة لنموه وتقدمه..(Maddi, 2007)

فالصلابة النفسية هي مركب يتكون من تلك العناصر الأساسية الثلاثة التي يجب أن تتواجد بشكل مترابط فيما بينها داخل الشخصية، ويمكننا أن نوضح تلك العناصر أو الأبعاد كالتالي:

الالتزام Commitment :

هو نوع من التعاقد النفسي يلتزم به الفرد تجاه نفسه والآخرين لتحقيق ما يريده، ويعدُّ عنصر الالتزام من أكثر مكونات الصلابة النفسية ارتباطاً بالدور الوقائي للصلابة بوصفها مصدراً لمقاومة الضغوط النفسية، ويعني الالتزام الرغبة في العمل بهمة ونشاط كبيرين مع الإحساس بأهمية وقيمة الأنشطة التي يؤديها الفرد وجدواها.

ويتكون الالتزام من مجموعة أبعاد وهي: بُعد الالتزام نحو الذات، ويُقصد به اتجاه الفرد نحو معرفة ذاته وتحديد أهدافه وقيمه الخاصة في الحياة وتحديد اتجاهاته الإيجابية على نحو يميزه عن الآخرين؛ وبُعد الالتزام نحو العمل، ويُقصد به اعتقاد الفرد بقيمة العمل وأهميته سواء له أو للآخرين، واعتقاده بضرورة الاندماج في محيط العمل وكفائه في إنجاز الأعمال الموكلة له وضرورة تحمله لمسئوليات العمل والالتزام به؛ وبُعد الالتزام الديني، ويُقصد به التزام الفرد بعقيدة الإيمان الصحيح، وظهور ذلك في سلوكياته بممارسة ما يأمر به الله وما ينهى عنه؛ وبُعد الالتزام الأخلاقي، ويُقصد به التزام الفرد بالقيم والأخلاقيات التي ترجع في أصلها إلى الأديان والعقائد، وبعد الالتزام القانوني، ويُقصد به اعتقاد الفرد بضرورة الانصياع لمجموعة القواعد والأحكام العامة وتقبل تنفيذها بواسطة السلطة المختصة؛ لما تمثله من أسس منظمة للسلوكيات العامة داخل المجتمع. (فاتح، 2015: 49).

التحكم Control:

وهو مدى اعتقاد الفرد بأنه يمكن أن يتحكم فيما يلقاه من أحداث، ويتحمل المسؤولية الشخصية عما يحدث له، ويعكس الاعتقاد بأن الفرد ليس عاجزاً أو فاقداً للعون ولكنه يمكن أن

يؤثر في العديد من الأحداث، وله القدرة على التحكم في الظروف الشخصية، ويتضمن التحكم أربع صور رئيسية؛ هي:

القدرة على اتخاذ القرارات والاختيار بين بدائل متعددة (تجنب الموقف - إنهاء الموقف - محاولة التعايش مع الموقف)؛ ولذا يرتبط هذا التحكم بطبيعة الموقف وطريقة حدوثه. التحكم المعرفي وهو القدرة على استخدام بعض العمليات الفكرية بكفاءة عند تعرض الفرد للمواقف، كالتفكير بالموقف، والتعامل بصورة منطقية وواقعية، واستخدام جميع المعلومات المتاحة عن الموقف. التحكم السلوكي وهو قدرة الفرد الفعالة على المواجهة وبذل الجهد مع دافعية كبيرة للإنجاز والتحدي، والقدرة على التعامل مع الموقف بصورة عملية ولملموسة. التحكم الاستراتيجي ويرتبط بمعتقدات الفرد واتجاهاته السابقة عن الموقف وطبيعته، حيث يؤدي استرجاع الفرد لمثل هذه المعتقدات إلى تكوين انطباع محدد عن الموقف ورؤيته على أنه موقف ذو معنى وقابل للتنازل والسيطرة (الفضل، 2014: 51).

التحدي Challenge:

يعني اعتقاد الفرد بأن التغيير في الأحداث شيء عادي، وبأن ما يطرأ من تغيير على جوانب حياته هو أمر مثير وضروري أكثر من كونه تهديداً له؛ مما يساعد الفرد على المبادأة واكتشاف البيئة ومعرفة المصادر النفسية والاجتماعية التي تساعد على مواجهة الضغوط الحياتية بفاعلية، ويعوّل الفرد في محاولاته للتوافق على المصادر الداخلية المتمثلة في الصلابة النفسية والتي تمده بالقوة والمقاومة، هذا بالإضافة إلى العوامل أو المصادر الخارجية (مخيمر، 2015: 22).

والشخص المتمتع بالصلابة النفسية يجب أن يحصل على درجة مرتفعة في هذه الأبعاد الثلاثة، أما من يحصل على درجة مرتفعة على بُعد واحد فقط - مثل بُعد الالتزام - ويحصل على درجة منخفضة على بُعدَي التحكم والتحدي فلا يتمتع بالصلابة النفسية، بل يعيش حالة من القلق أو فقدان الثقة بالنفس؛ لذا فإن التعامل مع الصلابة النفسية يشمل التعامل الكلي مع جميع مكوناته؛ الأمر الذي سيعطي دافعاً للتغلب على مشاق الحياة. (العنزي، 2009: 27).

خامساً: النظريات المفسرة للصلابة النفسية

أولاً: نظرية كوبازا (Kobsa, 1979)

قدمت كوبازا نظرية رائدة في مجال الوقاية من الاضطرابات النفسية والجسمية، وتناولت

خلالها العلاقة بين الصلابة النفسية بوصفها مفهوماً حديثاً في هذا المجال، واحتمالات الإصابة بالأمراض، فقد اعتمدت كوبازا في صياغة نظريتها على عدد من الأسس النظرية، تمثلت في آراء بعض العلماء، أمثال ماسلو وروجرز وفرانكل، والتي أشارت إلى أن وجود هدف للفرد أو معنى لحياته يجعله يتحمل إحباطات الحياة، ويتقبلها، وأن يتحمل الإحباط الناتج عن الظروف الحياتية الصعبة معتمداً في ذلك على قدرته واستغلال إمكاناته الشخصية والاجتماعية بصورة جيدة. كما اعتمدت كوبازا على النموذج المعرفي لـ لازاروس Lazarous، الذي يرى أن التنشئة الاجتماعية السلبية للفرد والتي تتمثل في القسوة والسيطرة والعنف وتعرضه لأحداث الحياة الضاغطة، تنتج عنها خبرة حادة أو ظروف مؤلمة لها تأثير سلبي على الاستجابات السلوكية للموقف أو الحدث الضاغط، ولها أهمية في تحديد نمط تكيف الكائن الحي، فتقييم الفرد لقدراته على نحو سلبي، والجزم بضعفها، وعدم ملامتها للتعامل مع المواقف الصعبة أمر يُشعره بالتهديد ومن ثمَّ الشعور بالإحباط، متضمناً الشعور بالخطر الذي يقرر الفرد وقوعه بالفعل (يس، 2001: 39).

ويُعد نموذج لازاروس، من أهم النماذج التي اعتمدت عليها هذه النظرية حيث أنها نوقشت من خلال ارتباطها بعدد من العوامل، وحددها في ثلاثة عوامل رئيسية؛ هي:

1 - البنية الداخلية للفرد، وتنشئته الاجتماعية.

2 - الأسلوب الإدراكي المعرفي.

3 - الشعور بالتهديد والإحباط (عودة، 1431:79).

وكان من نتاج تفهّم واقتناع كوبازا بآراء من سبقوها أمثال ماسلو وروجرز وفرانكل ومادى والمنظور المعرفي لـ لازاروس أن وضعت الأساس التجريبي لنظرياتها، فقد استطاعت إجراء سلسلة من الدراسات عام 1979، وعام 1982، وعام 1983، وعام 1985 للبرهان على الافتراض الأساسي لنظرياتها والقائل بأن التعرض للأحداث الحياتية الشاقة يُعد أمراً ضرورياً، بل إنه حتمي لا بد منه لارتقاء الفرد ونضجه الانفعالي والاجتماعي، وأن المصادر النفسية والاجتماعية الخاصة بكل فرد قد تقوى وتزداد عند التعرض لهذه الأحداث، ومن أبرز هذه المصادر: الصلابة النفسية بأبعادها الثلاثة (الالتزام، والتحكم، والتحدي)، وانتهت بالتوصل إلى صياغة نظرياتها التي استهدفت الكشف عن المتغيرات النفسية والاجتماعية، التي من شأنها مساعدة الفرد على الاحتفاظ بصحته الجسمية والنفسية على الرغم من تعرضه للمشقة، وذلك على عينات مختلفة

الأعداد والنوعيات من شاغلي المناصب الإدارية المتوسطة والعليا من المحامين ورجال الأعمال ممن تراوحت أعمارهم بين -32 65 عاماً، وتم تطبيق اختبار الصلابة النفسية بأبعادها الثلاثة لكوبازا واختبار وايلر للمرض الجسيمي والنَّفسي واختبار هولز وراهي لأحداث الحياة الشاقة، وأظهرت نتائجها الكشف عن مصدر جديد في مجال الوقاية من الإصابة بالاضطرابات النفسية والجسيميّة، وهو الصلابة النفسية بأبعادها الثلاثة (الالتزام، والتحكم، والتحدي)، مؤكدة أن الصلابة النفسية ومكوناتها تعمل كمتغير نفسي يخفف من وقع الأحداث الشاقة على الصحة الجسيميّة والنفسية للفرد، فالأشخاص الأكثر صلابة يتعرضون للضغوط ولا يمرضون، كما تتأصل الصلابة النفسية في مرحلة الطفولة من خلال معاشية الخبرات المعززة التي تثري الشخصية وتقوي دعائمها، وتظهر من خلال المشاعر والسلوكيات التي تتصف بالالتزام والتحكم والتحدي (الدبور، 2007: 32).

نموذج كوبازا في الصلابة النفسية:

رأت كوبازا أن السبب في عدم تأثر الأشخاص بالضغوط هو العوامل الوسيطة Mediators بين التعرض للضغوط ونواتجها، وقدمت نموذجها الأول عن العلاقة بين الضغوط والأمراض Stress and illness connections في سنة 1979، ويوضح نموذج كوبازا وجود علاقة مباشرة بين إدراك الضغوط كما تعلمها الطفل من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية والتعرض لها وبين نواتجها (الصحة الجسيميّة والنفسية أو المرض النَّفسي والجسيمي)، ووجود علاقة غير مباشرة بين إدراك الضغوط والتعرض لها وبين نواتجها، حيث إن المتغيرات الوسيطة، من وجهة نظر كوبازا تؤثر في إدراك الضغوط وفي نواتج الضغوط؛ ومن ثمَّ بدأت كوبازا تركز على المتغيرات الوسيطة، وفي سنة 1983 قدمت كوبازا نموذجاً عن العلاقة بين الصلابة النفسية وأساليب التنشئة الوالدية وأحداث الحياة الضاغطة، وأوضحت من خلاله أن الصلابة النفسية تعمل كمتغير مقاومة وقائي يقلل من الإصابة بالإجهاد الناتج عن التعرض للضغط في حالات التنشئة الاجتماعية الإيجابية للطفل، وتزيد من استخدام الفرد لأساليب المواجهة الفعالة، وتزيد أيضاً من العمل على استخدام الفرد لمصادره الشخصية والاجتماعية المناسبة تجاه الظروف الضاغطة (مخير، 2011: 18).

ثانياً: نموذج فَنك Funk المحلل لنظرية كوبازا، يُعد من النماذج التي ظهرت حديثاً في مجال الوقاية من الإصابة بالاضطرابات؛ حيث قدمه فنك عام 1992 من خلال دراسته

التي أجراها بهدف بحث العلاقة بين الصلابة النفسية والإدراك المعرفي والتعايش الانفعالي من ناحية، والصحة العقلية والتنشئة الاجتماعية من ناحيةٍ أخرى على عينةٍ قوامها ١٦٧ جندياً إسرائيلياً، وقد اعتمد في تحديده لدور الصلابة النفسية على المواقف الشاقة الواقعية، وقام بعمل القياس لمتغير الصلابة والإدراك المعرفي للأحداث الشاقة والتعايش معها قبل الفترة التدريبية العنيفة التي أعطاها للمشاركين والتي بلغت ستة أشهر، وبعد انتهاء هذه الفترة التدريبية توصل إلى نتائج مهمة وهي؛ ارتباط مُكوّن الالتزام والتحكم فقط بالصحة الجيدة للأفراد من خلال تخفيض الشعور بالتهديد واستخدام استراتيجيات التعايش الفعال، وهي من عوامل التنشئة الاجتماعية الإيجابية خصوصاً استراتيجية ضبط الانفعال، حيث ارتبط بعد التحكم إيجابياً بالصحة العقلية من خلال إدراك الموقف على أنه أقل مشقة واستخدام استراتيجية حل المشكلات للتعايش. (عودة، 1431:80).

الأدوار التي يؤديها متغير الصلابة النفسية في حياة الطفل:

حددت كوبازا Kobasa الأدوار التي يؤديها متغير الصلابة النفسية في أنها:

- ١- تخفف من الشعور بالإجهاد الناتج عن الإدراك السلبي للأحداث والوقاية من الإجهاد المزمن.
- ٢- ترتبط المواجهة الفعالة للضغوط والتوافق الصحي بوجود الصلابة النفسية.
- ٣- تغيير الإدراك المعرفي للأحداث الشاقة.
- ٤- تدعم عمل متغيرات المقاومة والمتغيرات المساعدة على سلامة الأداء النفسي (مخيمر، 2011:18).

خصائص الصلابة النفسية:

حصر تايلور Taylor 1995 خصائص الصلابة النفسية فيما يلي:

- الإحساس بالالتزام Commitment أو النية لدفع النفس للانخراط في أي مستجدات تواجهها بالحياة.
- الإيمان (الاعتقاد) بالسيطرة (Belief of control) والإحساس بأن الشخص نفسه هو سبب الحدث الذي وقع في حياته، وأن الشخص يستطيع أن يؤثر على بيئته.
- الرغبة في إحداث التغيير والاندماج في الأنشطة التي تمثل أو تكون بمثابة فرص للنماء والتطوير. (Taylor, 1995:261).

خصائص الأطفال ذوي الصلابة النفسية المرتفعة:

- توصلت كويازا من خلال سلسلة دراساتها (1979، 1982، 1983) وكذلك مادّي وآخرون 1998، إلى أن أهم خصائص ذوي الصلابة النفسية المرتفعة Personality Theology كما يلي:
- يتميزون بوجود نظام قيمي ديني لديهم يقيهم من الوقوع في الانحراف أو الأمراض أو الإدمان.
 - وجود أهداف في حياتهم ومعانٍ يتمسكون بها ويرتبطون بها.
 - الالتزام والمساندة للآخرين عند الحاجة.
 - المبادرة والنشاط.
 - المثابرة وبذل الجهد والقدرة على تحمل المسؤولية والعمل تحت الضغوط.
 - القدرة على الإنجاز والإبداع.
 - الميل للقيادة.
 - القدرة على الصمود والمقاومة.
 - التفاؤل والتوجه الإيجابي نحو الحياة.
 - القدرة على اتخاذ القرارات وحل المشكلات والاختيار بين بدائل متعددة.
 - الهدوء والقدرة على التفسير والتقدير للأحداث الضاغطة.
 - الاعتقاد بأن النجاح في الحياة يعود للعمل والمجهود وليس للصدفة أو الحظ والظروف.
 - القدرة على تحقيق الذات.
 - يتسمون بإتقان العمل والدراسة.
 - الواقعية والموضوعية في تقييم الذات والأحداث ووضع الأهداف المستقبلية.
 - الاستفادة من خبرات الفشل في تطوير الذات.
 - الاهتمام بالبيئة والمشاركة الفعالة في الحفاظ عليها.
 - توقع المشكلات والاستعداد لها.
 - القدرة على التجديد والارتقاء.
 - الشعور بالرضا عن الذات.
 - اعتبار أن الأحداث الضاغطة أمر طبيعي، وليس تهديداً لهم.
 - الممارسات الصحية (نظام غذائي، وممارسة الرياضة، والأنشطة الثقافية).

- تزداد صلابتهم النفسية مع التقدم في العمر، فهي في حالة نمو مستمرة.
 - الرغبة في استكشاف البيئة ومعرفة ما يجهلونه.
 - التمتع بالصحة الجسمية (مخير، 2011:19).
- ويبين كل من ديلار 1990، كوزي 1991، كريستوفر 1996، أن أصحاب الصلابة النفسية المرتفعة لديهم أعراض نفسية وجسمية قليلة، وغير منهكين، ولديهم قدرة كبيرة على إدارة الذات، ويتمتعون بالإنجاز الشخصي، ولديهم القدرة على التواصل الاجتماعي الجيد وتقبل الآخرين وتحمل الضغوط، وترتفع لديهم النظرة الواقعية نحو العمل، ولديهم نزعة تفاؤلية، وأكثر توجهاً للحياة، ويمكنهم التغلب على الاضطرابات النفس جسمية وتلاشي الإجهاد. (أبو ندى، 2007:32).

خصائص ذوي الصلابة النفسية المنخفضة:

تتمثل في اتصافهم بعدم الشعور بهدف لأنفسهم، ولا معنى لحياتهم، ولا يتفاعلون مع بيئتهم بإيجابية ويتوقعون التهديد المستمر والخوف والضعف في مواجهة الأحداث الضاغطة المتغيرة، ويفضلون ثبات الأحداث الحياتية، ويشعرون بالخوف من التغيير وليس لديهم اعتقاد بضرورة التجديد والارتقاء، كما أنهم سلبيون في تفاعلهم مع بيئتهم، وعاجزون عن تحمل الأثر السيئ للأحداث الضاغطة. (راضي، 2008:42).

وتوضح كويازا أن الصلابة النفسية مفيدة لمقاومة الضغوط والإنهاك النفسي، حيث أنها تعدل من إدراك الفرد للأحداث وتجعلها أقل أثراً، فتكسب الفرد قدراً من المرونة؛ لذا فالصلابة النفسية تزيد من قدرات الفرد لمواجهة الضغوط المختلفة وكذلك الوقاية من الإنهاك النفسي. ولذا يساعد متغير الصلابة النفسية على الإدراك المعرفي للأحداث اليومية التي تعترض مسيرة الحياة إذا ما تم رؤيتها على نحو واقعي، فيتقدم الأفراد ذوو الصلابة في كفايتهم على تناول الأحداث الحياتية؛ ومن ثم فهم يرون الأحداث اليومية الشاقة بصورة واقعية وتفاؤلية. كما وجدت كويازا أن الأشخاص ذوي الصلابة النفسية المرتفعة يكونون أكثر قدرة على الاستفادة من أساليب مواجهتهم للضغوط، حيث تفيدهم في خفض تهديد الأحداث الضاغطة لأنهم يرونها من منظور أوسع ويحلونها إلى مركباتها الجزئية ويضعون الحلول المناسبة لها، وعلى العكس من ذلك، يعتمد الأفراد ذوو الصلابة النفسية المنخفضة أسلوب المواجهة التراجعي، أو الذي يتضمن

نكوصاً، وفيه يقومون بالتجنب أو الابتعاد عن المواقف التي تولد ضغطاً (السيد، 2012: 63).
وتُسهم التنشئة الاجتماعية بشكلٍ أساسي في تنمية عوامل الصلابة النفسية بداخل الفرد بدءاً من مرحلة الطفولة، وتتطور خلال مراحل النمو المختلفة لتشكل بناءً داعماً قوياً يُسمى بالمقاومة النفسية أو المناعة النفسية، التي تقف كدرع للوقاية من الأمراض النفسية المختلفة وتقوى على إثرها المناعة الجسدية للفرد فتقيه من الأمراض النفسية والجسدية معاً.

ثانياً: التنشئة الاجتماعية

تُعد عملية التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات تأثيراً على الأبناء في مختلف مراحلهم العمرية، لما لها من دور أساسي في تشكيل شخصياتهم وتكاملها، وهي تُعد إحدى عمليات التعلّم التي عن طريقها يكتسب الأبناء العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم السائدة في بيئتهم الاجتماعية التي يعيشون فيها، والسمات النفسية التي تتحكم في إدراكهم وسلوكهم ونظرتهم للحياة، وعملية التنشئة الاجتماعية تتم من خلال وسائط متعددة، كالبيئة المحيطة والمدرسة ودور العبادة والإعلام والتكنولوجيات المتعددة وتعد الأسرة أهم هذه الوسائط، فالأبناء يتلقون عنها مختلف المهارات والمعارف الأولية كما أنها تعد بمثابة الرقيب على وسائط التنشئة الأخرى، (المدرسة ودور العبادة والوسائط التكنولوجية والإعلام وغيرها) ويبرز دور الأسرة في توجيه وإرشاد الأبناء من خلال عدة أساليب تتبعها في تنشئة الأبناء، وهذه الأساليب قد تكون سوية أو غير ذلك، وكلُّ منهما ينعكس على شخصية الأبناء وسلوكهم سواء بالإيجاب أو السلب .

مفهوم التنشئة الاجتماعية :

هي عملية يكتسب الأطفال من خلالها الحكم الخلقى والضبط الذاتي اللازم لهم؛ حتى يصبحوا أعضاء راشدين مسؤولين في مجتمعهم. (حسين رشوان، 1997 : 153).
وهي عملية تعلّم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد (طفلاً فمراهقاً فراشداً وشيخاً) سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تُمكنه من مساهمة مجتمعه والتوافق الاجتماعي معه، وتُكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية .

وتسهم أطراف عديدة في عملية التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة والمسجد والرفاق

وغيرها، إلا أن أهمها الأسرة بلا شك كونها المجتمع الإنساني الأول الذي يعيش فيه الطفل، والذي ينفرد في تشكيل شخصية الطفل لسنوات عديدة من حياته تعدُّ حاسمة في بناء شخصيته. (حامد زهران، 1977 : 213).

وهي أيضاً عملية مستمرة ومتغيرة على امتداد الحياة، تهدف إلى الاندماج الاجتماعي النسبي والمتوالي للفرد في المجتمع المحيط به، وهي بمثابة وسيلة لاكتساب الشخصية من خلال استيعاب معايير وقيم وتمثلات اجتماعية؛ من أجل تحقيق درجة من التوافق النسبي عبر سياق الحياة الشخصية والاجتماعية للفرد داخل تلك الحياة المتغيرة باستمرار. (المصطفى حدية، بن الشيخ، 2006).

وتهدف التنشئة الاجتماعية إلى إكساب الأفراد في مختلف مراحل نموهم (طفولة، مراهقة، رُشد، شيخوخة) أساليب سلوكية معينة، تتفق مع معايير الجماعة وقيم المجتمع؛ حتى يتحقق لهؤلاء التفاعل والتوافق في الحياة الاجتماعية في المجتمع الذي يعيشون فيه. وعملية التنشئة الاجتماعية تتم من خلال عمليات التفاعل الاجتماعية، فيتحول الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، مكتسباً الكثير من الاتجاهات النفسية والاجتماعية عن طريق التعلُّم والتقليد، مما يطبع سلوكه بالطابع الاجتماعي.

ويقوم المجتمع من خلال عملية التنشئة الاجتماعية بدور مهم في تشجيع وتقوية بعض الأنماط السلوكية المرغوب فيها والتي تتوافق مع قيم المجتمع وحضارته... في حين يقاوم ويُحبط أنماطاً أخرى من السلوك غير المرغوب فيها... (خليل ميخائيل عوض، 1982).

وبذلك تكون عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية أساسية، تهتم بتربية الأطفال ليصبحوا راشدين يُسهمون في أنشطة المجتمع الذي ينتمون إليه، كما أنها عملية مستمرة ومتواصلة؛ حيث يظلُّ تأثير الوالدين على الطفل حتى ينمو ويكبر ويعتمد على ذاته.

الأساليب الوالدية في التنشئة الاجتماعية:

وتتم عملية التنشئة الاجتماعية من خلال مجموعة من الأساليب الوالدية في التربية، والتي تتنوع وتختلف باختلاف الخبرات والمهارات التي يتميز بها الآباء بعضهم عن البعض، وذلك من حيث استخدامهم للوسائل الفعالة في تنمية سلوك أطفالهم، وذلك طبقاً لمجموعة من العوامل والمحكات التي تحدّد هذه الأساليب، وقد تتمثلُّ هذه العوامل والمحكات في أساليب سلبية نتيجة

عدم الثقة، ونقص الخبرة، ونقص المعلومات، فتكون أساليب التربية القائمة على القسوة والعنف والإهمال أو أساليب إيجابية تعتمد على عوامل جيدة كالاهتمام والحنان والرعاية والتعليم وجميعها تُعد من العوامل والمحكات الأساسية، التي تحدّد أساليب المعاملة الوالدية؛ فتربية الأطفال من أصعب المراحل التي يمرُّ بها الآباء من خلال احتكاكهم بالأبناء؛ وتنشئتهم ليست بالمهمة السهلة أو اليسيرة؛ لذا يجب على الآباء أن يُحاولوا تقديم كلِّ إمكانياتهم وخبراتهم؛ للإسهام في تشكيل نموذج مثالي للتنشئة السليمة لأطفالهم.

وأساليب المعاملة الوالدية تختلف من وجهة نظر الأبناء عنها من وجهة نظر الآباء؛ حيث إنها من وجهة نظر الأبناء تتمثّل في آرائهم وتعبيرهم عن نوع الخبرة التي يتلقون من خلالها معاملة والديهم، وهي تتمثّل في الرأي الذي يحمله الابن في ذهنه، ويدركه في شعوره عن معاملة أبيه وأمه له.

ورغم أن معاملة الوالدين ترتبط بالسلوك الفعلي الذي يظهره الوالدان أمام الطفل؛ فإنه من الممكن أن يشعر الطفل برفض والده له، بالرغم من أن والده يحبه حقيقةً، ولكن قد يكون اعتقاد الأب أن على الآباء عدم إظهار عواطفهم لأبنائهم، وأن التربية الصارمة ضرورية لنموّ الطفل، ومن منظور الطفل قد يُدرك أنه غير جدير بالحب، وإدراكه هذا قد يؤدي إلى مظاهر سلبية في تفاعله مع والديه؛ ومن ثمّ في سلوكه، فقد يؤدي إحساس الطفل بعدم الحب من جهة والديه بسبب قسوتهم الظاهرة في التعامل إلى أن يصبح طفلاً خائفاً ضعيفاً لا يقوى على المواجهة؛ مما يجعله يعاني الهشاشة النفسية وعدم القدرة على تحمل المواقف الصعبة التي يمر بها، وعلى العكس نرى أن الطفل الذي يتمتع بحب الوالدين ورعايتهما بالشكل الإيجابي القائم على التفاهم والنقاش ومنح الأبناء حرية الرأي والتعبير، ينشأ شخصاً قوياً لديه قدر كبير من الصلابة النفسية والقدرة على المواجهة وتحمل المسؤولية والصعوبات الحياتية التي تمر به.

ونظراً لأن التنشئة الاجتماعية هي عملية مستمرة، لا تقتصر فقط على مرحلة الطفولة، ولكنها تستمر في المراهقة والرشد وحتى سن الشيخوخة، فإنها تعمل خلال ذلك على بناء شخصية الفرد المتوازنة، وتشكيل وعيه وإدراكه لذاته ومحيطه بما يتماثل مع قيم واتجاهات ومعايير مجتمعه وعاداته، ويتبنّى الوالدان في تنشئة الطفل أساليب وأنماطاً واتجاهات مختلفة لها تأثير بالغ الأهمية في تكوينه النفسي والاجتماعي، وتزويده بالمعارف والخبرات الاجتماعية اللازمة من أجل تكيفه مع محيطه، فهناك فرق بين شخصية فرد نشأ في جوٍّ من التدليل والعطف والحنان

المفرط، وشخصية فرد آخر نشأ في جوٍّ من الصرامة والقسوة، وآخر نشأ في جوٍّ من التشجيع والديمقراطية، هناك فرق بين هؤلاء الأفراد في سلوكياتهم وسماتهم الشخصية، يرجع إلى نوعية العلاقة مع آبائهم وأمهاتهم، كما يرجع إلى اتجاهات الأبوين نحو الطفل ونحو أساليب تنشئته، وهذه الاتجاهات والأساليب تتفاوت ما بين اتجاهات سلبية في المعاملة، كالتسلُّط والتدليل والحماية الزائدة والقسوة والتذبذب والتفرقة بين الأبناء، وإخضاعهم لكثير من القيود، واتجاهات إيجابية تتمثل في التعرف إلى قدرات الأبناء وتوجيههم توجيهاً سليماً بناءً على قدراتهم وإمكاناتهم، وإتاحة الفرصة أمامهم للتفاعل والتوافق مع البيئة الخارجية وتشجيعهم ومساندتهم اجتماعياً.

ويتفق الباحثون في مجال علم النفس الاجتماعي على وجه الخصوص على أهمية الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية والتربوية في تكوين شخصية الطفل ونموه النفسي والاجتماعي، حيث يرى شفيق رضوان أن العلاقات والاتجاهات الوالدية المشبعة بالحب والقبول والثقة تساعد الطفل على أن ينمو متمتعاً بالصحة النفسية، فضلاً عن الصحة الجسدية ولديه عوامل لياقة نفسية عالية، كالصلابة النفسية وإدارة الذات والثقة بالنفس والتواصل الإيجابي مع الآخرين في محيطه الاجتماعي خلال مراحل نموه، بينما الاتجاهات السلبية التي يمكن أن يتبعها الوالدان خلال التنشئة الاجتماعية للطفل كالحماية الزائدة أو الإهمال والتسلط، تؤثر تأثيراً سلبياً على النمو وعلى الصحة النفسية للطفل. (شفيق رضوان، 2001).

ويرى فؤاد حيدر أن الأساليب والاتجاهات التربوية القائمة على الديمقراطية والتسامح بين الأهل والأبناء، تعدُّ من السبل الأساسية لإقامة علاقات أسرية متماسكة يتأثر فيها الطفل بالسماح الإيجابية في شخصية الوالدين، حيث ينشأ الطفل متفاعلاً إيجابياً، قوياً وثقاً لديه قدرة على المواجهة والتحدي لأي ظروف يمكن أن يواجهه بالحياة، وهذا ما يُمكنه من النمو والنضج والانفتاح على الحياة وعلى محيطه الاجتماعي وينمي قدراته واستقلالته، ويخلصه من التبعية للأهل والاعتماد على الذات وتعزيز الثقة بالنفس، وهي من عوامل المناعة النفسية التي تنمي بداخله الصلابة النفسية وتقوده إلى حياة سوية نفسياً وجسمانياً. أما الأسر التي تتبع نهجاً تربوياً يقوم على الاستبداد والقسوة والتسلط والقمع، فيبدو الطفل منقاداً إلى رغبات الأهل؛ مما يقتل لديه روح المبادرة والاستقلالية فينشأ تابعاً ضعيفاً، وقد ينتج عن هذا الأسلوب السلبي في التنشئة أن يعيش الطفل حالة من التمرد والرفض لما يُفرض عليه فيكون معارضاً دائماً للأهل، وهذا الأسلوب أيضاً يجعل الطفل يعيش في حالة من القلق والتوتر والانفعال والتخبط في

القيم والقرارات، فينشأ هشاً ضعيفاً غير قادر على التحمل والمواجهة للضغوط، بينما الشعور بالاطمئنان في المراحل الأولى من حياة الفرد من شأنه تزويد الطفل بآليات دفاعية وعوامل اللياقة والوقاية النفسية، كالصلابة النفسية والوعي بقيمة الذات التي تساعد في المراحل اللاحقة من العمر، وتمكّنه من مواجهة الحياة بقوة وصلابة وقدرة على تحدي الضغوط والصعوبات ومواجهة الحياة، فالتعامل مع الطفل بإيجابية ومحبة والتفهم لقدراته واستعداداته تجعله أكثر نضجاً، وتساهم في تفتح شخصيته وتنمية قدراته الإبداعية. (فؤاد حيدر، 1994).

Resources of Socialization: مصادر التنشئة الاجتماعية

أ- الوراثة Heredity:

كلمة وراثة تعني: الخواص العضوية للتشريح الفسيولوجي الموروث؛ مثل: خواص الحس، وخواص نظام الدورة الدموية، وتركيب وخواص نظام الأعصاب، وهي تقدّم إمكانات متعدّدة لنمو القدرات والظواهر، وإن الشخصية تختلف باختلاف نشاط المخ والوراثة، كما يعتقد علماء النفس المثاليين - الاتجاه البيولوجي - أن التنشئة الاجتماعية هي عملية صقل للاستعدادات الموروثة، ووفقاً لهذا الاتجاه فإن طريق حياة الطفل يكون محدداً من قبل، وإن الوراثة تُعطي طاقة وعمليات متنوعة يصوغها المجتمع، ويكيّفها حسب متطلباته وقيمه ومعاييرها، وهذا يؤكّد أن الوراثة هي مصدرٌ أساسي من مصادر عملية التنشئة الاجتماعية.

ب- البيئة Environment:

تعدُّ البيئة هي المصدر الرئيس الثاني من مصادر عملية التنشئة الاجتماعية؛ حيث إن لها تأثيراً إيجابياً على الإنسان، كما أنها تُسهم في تشكيل عملية التنشئة الاجتماعية التي يقوم بها الآباء تجاه أطفالهم؛ فهي التي تحدّد نمو وصقل شخصية الطفل، واندماجه في الوسط المحيط ووفقاً لما تحمله من سمات وخصائص معينة.

ثالثاً: عمليات التنشئة الاجتماعية Process of socialization :

تشمل عملية التنشئة الاجتماعية مجموعة من العمليات الفرعية؛ هي:

عملية التعلم الاجتماعي:

وهي العملية التي تؤدي إلى تأكيد مكانة الفرد، وتوفير الحماية والسيطرة والاستقلال والحب والراحة له.

عملية تكوين الأنا:

وهي العملية التي يتم من خلالها تكوين الأنا أو الذات الاجتماعية، وتكوين الأنا الأعلى أو الضمير.

عملية التوافق الاجتماعي:

وهي العملية التي من خلالها يقوم الفرد باتباع العادات والتقاليد والقيم السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه.

عملية التثقف:

وهي العملية التي تحافظ على استمرار مظاهر الثقافة من لغةٍ وحُلقٍ ودينٍ، وانتقالها من جيل إلى جيل.

مظاهر التنشئة الاجتماعية: Features Of Socialization

يعدُّ التعلق والعدوان من أهمِّ مظاهر عملية التنشئة الاجتماعية؛ فالتعلق يعنِي السعي للتقرب، والميل للمحافظة على الجوار عندما يتحقق، وهو يؤدي إلى الطمأنينة والأمن، ويتَّضح ذلك من تعلق الطفل بأمه والتصاقه بها.

أما العدوان، فإنه يعرف بأنه الاستجابة التي تعقب الإحباط، ويُرَاد بها إلحاق الأذى بفرد آخر، أو حتى بالفرد نفسه، ويصاحبه مجموعة من المظاهر الفسيولوجية؛ أهمها: سرعة ضربات القلب، وارتفاع ضغط الدم، وتوتر عضلات الأطراف لمقاومة التعب والإرهاق، وضعف الإدراك الحسي؛ حتى إن الفرد لا يكاد يشعر بالألم.

الأسس النفسية للتنشئة الاجتماعية: Psychological bases of socialization

تتضمن التنشئة الاجتماعية كل الأسس النفسية التي تُسهم إلى حدٍّ كبير في تشكيل شخصية الإنسان، وفي توجيه سلوكه بشكل عام؛ وهذه الأسس هي:

- الحاجات والدوافع Needs and Motives.
- القيم والمثل Values and Models.
- المعايير الاجتماعية Social norms.
- التفاعل الشخصي والاجتماعي Inter Personal and social interaction.
- الإدراك الحسي والإدراك الاجتماعي Sense Perception and social perception.

أهم النظريات المفسرة لعملية التنشئة الاجتماعية:

أولاً: نظرية التحليل النفسي

تعدُّ نظرية التحليل النفسي للطبيب النفسي النمساوي سيجموند فرويد من أشهر النظريات التي تناولت الشخصية بكل أبعادها، وتأتي أهميتها من كونها ركزت على الخبرات الماضية وبخاصة خبرات الطفولة المبكرة في تكوين الشخصية، حيث يرى أنها تنظم نفسي أشبه بالبناء من طبقات تركز فيه طبقاته العليا على طبقاته السفلى؛ لذا فقد أعطى فرويد اهتماماً بالشعور كون المشاعر عنده تنطوي على قصد دفين لا شعوري وتؤدي غرضاً في الحياة، فالسلوك عنده هو محصلة قوى دافعة متعارضة لعمليات ودوافع تكون غالباً لا شعورية وليست نتيجة الظروف الخارجية، فقد صور الطفل بأنه ذو طبيعة مضادة لمتطلبات المجتمع وقوانينه وأنظمتها، فهو أناني وعنيد وذو طبيعة تخريبية متناقضة مع هذه القوانين والأنظمة؛ لذا أطلق على هذا الوضع الذي يمتلكه الطفل اصطلاح "الهُو" الذي يمثل الدوافع الغريزية الشعورية التي تمدد السلوك وتوجهه إلى مبدأ اللذة في المقابل، بينما أطلق على قوانين وأنظمة المجتمع "الأنا الأعلى" واعتبرها المسؤولة عن عملية التنشئة الاجتماعية، وقد أشار فرويد إلى أن عملية التنشئة من أصعب وأعقد العمليات؛ لأنها تعمل على ضبط وتهذيب الغرائز، وبما أنها تقف سداً منيعاً في وجه الإشباع الفج غير المنضبط فإن من الطبيعي أن نجد مقاومة من قبل الأطفال الذين يرون في الكبار - وبالذات الوالدين - مصادر حرمان وتعذيب لهم، إلا أن شعور تطور اللذة عادة ما يكبت في منطقة اللاشعور خوفاً من العقاب، إلا أنه ومع تكرار محاولات الوالدين التأثير على كيفية تهذيب إشباع الغرائز لدى أطفالهم، يبدأ الأطفال تدريجياً بالاعتناع بما يتخذه الآباء من خطوات في سبيل تهذيب دوافعهم وغرائزهم؛ وبالتالي فإن أجزاء من (الهُو) يتحول إلى (الأنا) التي تمثل الجزء الصراعي في شخصية الطفل وبالتالي إخضاع (الواقع).

إننا لا نستطيع حقيقة أن نفصل عملية التنشئة الاجتماعية عن مراحل نمو الشخصية المختلفة؛ لأن لكل مرحلة من هذه المراحل طبيعتها واحتياجاتها ودوافعها وبالتالي فإنه يمكن أن نوجه من الأساليب ما يتناسب مع كل مرحلة من هذه المراحل، إذا ما أردنا أن ننجح في التأثير على كلٍّ منها، علماً أن فرويد قد حدد مراحل النمو النفسي وتبدأ بالمرحلة الفمّية نسبةً إلى الفم وتبدأ منذ الولادة حتى السنة الثانية من عمر الطفل؛ المرحلة الشرجية وتغطي العامين: الثاني والثالث من عمر الطفل؛ المرحلة القضيبية وتغطي العامين: الرابع والخامس من عمر الطفل؛

مرحلة الكُمون وتغطي ما بين سن السادسة وحتى البلوغ والأخيرة هي المرحلة الجنسية التناسلية وتغطي فترة المراهقة وما بعدها.

وبالرغم من أهمية كل مرحلة من هذه المراحل، فإننا نجد بعض العلماء والباحثين قد ركّزوا على مراحل بعينها باعتبارها مسئولة عن العديد من الاتجاهات والسلوكيات والأحكام وبالتالي عن التنشئة برمتها، فها هو فرويد ومن تشيعوا له فيما بعد ركزوا على المرحلة القضيبية باعتبارها الأساس الذكري في التفريق بين الذكور والإناث في عميلة التنشئة، واعتبروا أن وجود العضو التناسلي الذكري هو الذي أعطى الذكور قيمة ومرتبة أسمى من الإناث هيمنوا بموجبها على كل شيء.

من خلال ما سبق ذكره نجد أن نظرية التحليل النفسي، ترى أن التنشئة الاجتماعية تتضمن اكتساب الطفل لمعايير وسلوك والديه، وعن طريق أساليب التنشئة الاجتماعية كالثواب والعقاب يتكوّن لدى الطفل الضبط الداخلي أو الضمير الموجّه لسلوك الطفل ثم الفرد فيما بعد، وبذلك يعدّ تقليد سلوك الآباء من أبرز أساليب التنشئة الأسرية في نظر فرويد.

ثانياً: نظرية التعلم الاجتماعي :

يعدّ التعلّم القاعدة الأساسية لنظرية التعلم الاجتماعي، ويعدّ الإنسان الذي كرّمه الله - سبحانه وتعالى - من أقدّر المخلوقات على التعلّم وأكثر حاجةً إليه وذلك لما للتعلم من فائدة في حياته، باعتباره عملية دائمة ومستمرة وخاصة في عملية التنشئة الاجتماعية، التي ينظر إليها أصحاب هذه النظرية على أنها ذلك الجانب من التعلم الذي يهتم بالسلوك الاجتماعي عند الفرد، فهي عملية تعلم (أي تنشئة اجتماعية) لأنها تتضمن تغييراً وتعويداً في السلوك وذلك نتيجة التعرض لممارسات معينة وخبرات، كما أن مؤسسات التنشئة الاجتماعية تستخدم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية بعض الوسائل والأساليب في تحقيق التعلم؛ سواء أكان بقصد أم من دون قصد.

وحسب هذه النظرية، فإن التنشئة الاجتماعية عبارة عن "نمط تعليمي يساعد الفرد على القيام بأدواره الاجتماعية، كما أن التطور الاجتماعي حسب وجهة نظر هذه النظرية يتم بالطريقة نفسها التي كان فيها تعلم المهارات الأخرى، ويعطي أصحاب هذه النظرية أهمية كبرى للتعزيز في عملية التعلم الاجتماعي؛ أمثال دولارد (Dolard) وميلر (Miler) حيث يذهبان إلى أن السلوك

الفردى يتدعم أو يتغير تبعاً لنمط التعزيز فى تقوية السلوك، أما باندورا (Bandora) وولترز (Walter) فالبرغم من موافقتهما على مبدأ التعزيز فى تقوية السلوك فإنهما يشيران إلى أن التعزيز وحده لا يعد كافياً لتفسير التعلم أو تفسير بعض السلوكات التى تظهر فجأة لدى الطفل، ويعتمد مفهوم نموذج التعلم بالملاحظة على افتراض مفاده أن الإنسان كائن اجتماعى يتأثر باتجاهات الآخرين ومشاعرهم وتصرفاتهم وسلوكهم، وينطوي هذا الافتراض على أهمية تربوية بالغة، آخذين بعين الاعتبار أن التعليم بمفهومه الأساسى عملية اجتماعية .

ويرى باندورا " أن الناس يطورون آراءهم حول أنواع السلوك التى توصلهم إلى أهدافهم ويعتمد قبول أو عدم قبول آرائهم على النتائج التى تتمخض على هذا السلوك عن طريق الثواب والعقاب، معنى هذا أن هناك الكثير من تعلم السلوك يحدث عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين ونتائج أفعالهم وانطلاقاً من هذا، فإن الفرد لا يتعلم نماذج السلوك فقط بل قواعد السلوك أيضاً، ويقترح هذا العالم ثلاث مراحل لتعلم بالملاحظة؛ وهى:

- تعلم سلوكات جديدة:

يستطيع الطفل تعلم سلوك أو سلوكات جديدة عن طريق النموذج الموجود أمامه، فعندما يقوم فرد ما باستجابة جديدة لم تكن من قبل فى حصيلة ملاحظته فإنه يحاول تقليدها، غير أن باندورا يؤكد أن الملاحظ لا يتأثر بالنماذج الحقيقية الملاحظة أمامه فقط، بل يؤكد أن التمثيلات الصورية الموجودة فى الصحافة والتلفاز والسينما تقوم مقام النموذج الحقيقى كذلك.

- الكف والتحرير:

ومفادها أن عملية الملاحظة قد تؤدي بالطفل إلى الكف والتحرير عن بعض السلوكات أو الاستجابات وتجنبها؛ وخاصةً إذا واجه نموذج صاحب السلوك عواقب ونتائج سلبية غير مرغوب فيها من جراء انغماسه فى هذا السلوك، وقد تؤدي عملية ملاحظة السلوك أيضاً إلى تحرير بعض الاستجابات المكفوفة أو المقيدة وخاصة عندما تكون نتائج السلوك إيجابية؛ وبالتالي فهى تدفع بالطفل إلى القيام بها إذا ما اقتضت الضرورة.

- التسهيل:

تؤدي عملية التسهيل إلى تسهيل ظهور بعض النماذج السلوكية، أو الاستجابات التى قد تقع فى حصيلة الملاحظ السلوكية، التى تعلمها على نحو مسبق، إلا أنه لم تسمح له الفرصة لاستخدامها بمعنى أن السلوك النموذج يساعد الملاحظ على تذكر استجابات مشابهة "فالطفل الذى تعلم بعض الاستجابات التعاونية ولم يمارسها يمكن أن يؤديها عندما يلاحظ بعض الأطفال

منهمكين في سلوك تعاوني وتختلف عملية تسهيل السلوك عن عملية تحريره، فالتسهيل يتناول الاستجابات المتعلمة غير المكفوفة، أما تحرير السلوك فيتناول الاستجابات المقيدة أو المكفوفة التي تقف منها التنشئة الاجتماعية موقفاً سلبياً، فيعمل على تحريرها بسبب ملاحظته نموذجاً يؤدي مثل هذه الاستجابات دون أن يصيبه سوء.

ثالثاً: نظرية الدور الاجتماعي :

يقصد بالدور الاجتماعي لدى رالف لينتون " أن المكانة عبارة عن مجموعة الحقوق والواجبات، وبأن الدور هو المظهر الديناميكي للمكانة، فالسير على هذه الحقوق والواجبات معناه القيام بالدور، ويشمل الدور عند لينتون الاتجاهات والقيم والسلوك التي يُمليها المجتمع على كل الأشخاص الذين يشغلون مركزاً معيناً .

في حين يُعرف كوتول الدور بأنه: "سلسلة استجابات شَرْطِيَّة متوافقة داخلياً لأحد أطراف الموقف الاجتماعي، تمثل نمط التنبية في سلسلة استجابات الآخرين الشرطية المتوافقة داخلياً بنفس المستوى في هذا الموقف. "

وعليه يمكن القول وفق هذه النظرية أن الدور ثمرة تفاعل الذات والغير، وأن الاتجاهات نحو الذات هي أساس فكرة الدور، وتُكتسب عن طريق التنشئة الاجتماعية وتتأثر تأثراً كبيراً بالمعايير الثقافية السائدة، كما تتأثر بخبرة الشخص الذاتية؛ ولهذا حاولت نظرية الدور تفهيم السلوك الإنساني بالصورة المعقدة التي كُون عليها، باعتبار أن السلوك الاجتماعي يشمل عناصر حضارية واجتماعية وشخصية.

يكتسب الأطفال الأدوار الاجتماعية المختلفة من خلال علاقات مع أفراد لهم مغزى خاص بالنسبة إلى حياة الطفل: (الأم والأب والإخوة).

إن عملية اكتساب الأدوار الاجتماعية بصفة عامة ليست مسألة معرفية فقط، بل هي ارتباط عاطفي يوفر عوامل التعلم الاجتماعي واكتساب الأدوار الاجتماعية من خلال ثلاث طرق؛ هي :

- التعاطف مع الأفراد ذوي الأهمية وهم المحيطون بالطفل، وتعني قدرة الطفل على أن يتصور مشاعر أو أحاسيس شخص ما في موقف معين.
- دوافع الطفل وبواعثه على التعلم.. فالطفل يحرص على التصرف وفق ما يتوقعه أبواه ويجتنب ما لا يقبلانه.
- إحساس الطفل بالأمن والطمأنينة وهذا الشعور يجعل الطفل أكثر جرأة في محاولة تجريب الأدوار الاجتماعية المختلفة؛ وخاصة في مجال اللعب.

وعليه، فإن لكل فرد دوراً يُعد بمثابة مركز اجتماعي يتناسب مع الأداء الذي يقوم به. يكتسب الطفل مركزه ويتعلم دوره من خلال تفاعله مع الآخرين وخاصة الأشخاص المهمين في حياته، الذين يرتبط بهم ارتباطاً عاطفياً.

أهداف التنشئة الاجتماعية:

- غرس عوامل ضبط داخلية للسلوك وتلك التي يحتويها الضمير وتصبح جزءاً أساسياً؛ لذا فإن مكونات الضمير إذا كانت من الأنواع الإيجابية فإن هذا الضمير يوصف بأنه حي، وأفضل أسلوب لإقامة نسق الضمير في ذات الطفل أن يكون الأبوان قدوة لأبنائهما؛ حيث ينبغي ألا يأتي أحدهما أو كلاهما بنمط سلوكي مخالف للقيم الدينية والآداب الاجتماعية .
- توفير الجو الاجتماعي السليم الصالح واللائم لعملية التنشئة الاجتماعية، حيث يتوافر الجو الاجتماعي للطفل من وجوده في أسرة مكتملة تضم الأب والأم والإخوة حيث يلعب كل منهما دوراً في حياة الطفل .
- تحقيق النضج النفسي حيث لا يكفي لكي تكون الأسرة سليمة متمتعة بالصحة النفسية أن تكون العلاقات السائدة بين هذه العناصر متزنة سليمة وإلا تعثر الطفل في نُموه النفسي، والواقع أن الأسرة تنجح في تحقيق النضج النفسي للطفل إذا ما نجحت في توفير العناصر التالية :
- تفهُم الوالدين وإدراكهما الحقيقي في معاملة الطفل، وإدراك الوالدين ووعيها بحاجات الطفل السيكولوجية والعاطفية المرتبطة بنموه وتطور نمو فكرته عن نفسه وعن علاقته بغيره من الناس، وإدراك الوالدين لرغبات الطفل ودوافعه التي تكون وراء سلوكه وقد يعجز عن التعبير عنها. (إقبال بشير وآخرون، 1997 : 63).
- تعليم الطفل المهارات التي تُمكنه من الاندماج في المجتمع، والتعاون مع أعضائه والاشتراك في نواحي النشاط المختلفة وتعليمه أدواره، ما له وما عليه، وطريقة التنسيق بينهما وبين تصرفاته في مختلف المواقف، وتعليمه كيف يكون عضواً نافعاً في المجتمع وتقويم وضبط سلوكه.

أهمية التنشئة الاجتماعية:

أ. اكتساب المرء إنسانيته:

عن طريق التنشئة، يتعلم الإنسان اللغة والعادات والتقاليد والقيم السائدة في جماعته،

ويتعايش مع ثقافة مجتمعه. أمّا إذا رُبي شخص في الغابات، فإن سلوكه وطباعه، سيكون لها شأن آخر؛ فلقد عثر العلماء على حالات لأطفال ربّتهم الحيوانات (كالقردة) في الغابات، فشابه سلوكهم سلوكها؛ فلم يتسموا بأيّ من مظاهر التوادّ نحو الإنسان، ولا الابتسام، ولا الخجل من العُري، ولا الخوف من الطلق الناري؛ كما كانوا يتناولون الطعام كالحيوانات. ولكن، بعد أن تعهد العلماء قلةً منهم بالتربية في وسط إنساني، استطاعوا ارتداء الملابس بأنفسهم، والتمييز بين الحار والبارد، والناعم والخشن. كما نمت لديهم انفعالات جديدة، كالودّ نحو الممرضة القائمة على رعايتهم؛ حتى إن أحدهم كان يبكي، ويصدر أصواتاً، تدل على الحزن، عند غيابها. وبدعوا يتعلمون اللغة والحديث.

ب. اكتساب المجتمع صفات خاصة:

يتولى رجال إحدى القبائل مسؤوليات أُسرية، تشبه الدور الاجتماعي للنساء في المجتمع العربي: إعداد الطعام، ورعاية الصغار. وتضطلع نساؤها بمسؤوليات، تشبه الدور الاجتماعي للرجال في مجتمعنا، مثل: الصيد والدفاع عن الأسرة. وينطبق المبدأ نفسه على المجتمعات الشرقية، قياساً بالمجتمعات الغربية؛ فلكلّ منها خصائصه، التي تميزه عن غيره. وتكون التنشئة الاجتماعية مسؤولة عن رسوخها، والمحافظة عليها، ونقلها من جيل إلى آخر.

ج. تساعد التنشئة الاجتماعية على توافق الشخص ومجتمعه:

يُسهّم تعلّم المرء لغة قومه وثقافتهم في اقترانه بعلاقات طيبة بأبناء مجتمعه وموافقته إياهم. فلقد بينت إحدى الدراسات، أن جماعة معينة، داخل المجتمع الأمريكي، عزلت نفسها عنه، ودربت أبنائها على أعمال العصابات والسطو؛ ما جعلهم عاجزين عن موافقة المجتمع.

د. توجد التنشئة الاجتماعية بعض أوجه التشابه بين المجتمعات المختلفة:

- (1) تتداخل عدة جماعات فرعية، لتتنظم في مجتمع إنساني، يقترن فيه بعضها ببعض بعلاقات مختلفة، وبدرجات متفاوتة.
- (2) تسعى المجتمعات الإنسانية إلى تحقيق بعض الأهداف العامة، مثل المحافظة على كيانها واستقرارها وتماسكها.
- (3) تنظم الجماعات أنشطة أبنائها؛ لتحقيق أهدافها العامة، وأهدافهم الخاصة.
- (4) يتولى الراشدون تدريب الصغار على الأدوار الملائمة لمجتمعهم.

(5) تستهدف التنشئة، أساساً، خلق الشخصية المنوالية للمجتمع؛ أي الشخصية التي تجسد ثقافته؛ إذ توجد إطاراً مشتركاً يحدد ملامحه المتميزة.

وظائف التنشئة الاجتماعية:

الوظيفة الأساسية للتنشئة الاجتماعية هي نمو الفرد اجتماعياً بحيث يتكيف مع المجتمع ويتشرب عاداته وسلوكياته ويصبح عضواً منتمياً إليه مالياً له. وتتحقق هذه الوظيفة من خلال النقاط التالية:

1. إكساب الفرد ثقافة المجتمع:

من وظائف التنشئة إكساب الفرد اللغة، العادات، التقاليد، أنماط السلوك السائدة، القيم الخاصة بالمجتمع وبذلك تتحدد هويته الاجتماعية ويتحول إلى كائن اجتماعي حاملاً لثقافة المجتمع... قادراً على نقلها بعد ذلك للأجيال الأخرى كما نقلت إليه... ثم يقوم أفراد المجتمع بتطوير هذه الثقافة والإضافة إليها أو الحذف منها لتساير التقدم الانساني في كل عصر.

2. إشباع حاجات الفرد:

فما تحويه الثقافة (عادات - سلوكيات أفكار...) يجب أن يُشبع حاجات الفرد وطموحه ورغباته؛ حتى يكون منسجماً مع نفسه وأفراد مجتمعه. وإذا لم تلَبَّ التنشئة حاجات الفرد المعرفية والوجدانية والمهارية في ظل الثقافة السائدة في المجتمع تظهر هناك فجوة بين الفرد وبين مجتمعه، حيث يميل بعض الأفراد إلى العزلة والاعتزاب والانطواء وحتى الهجرة....

3. التكيف مع الوسط الاجتماعي:

وهي عملية تكيف الفرد مع الوسط المحيط به سواء أكانت الأسرة أم مكان العمل أم جماعة الرفاق (الشَّل - التقلبات...).

4. تحقيق عملية التطبيع الاجتماعي:

ترتبط عملية التطبيع الاجتماعي بالدور الوظيفي الذي يلعبه الفرد في المجتمع أو بالوظيفة التي يشغلها. فكل وظيفة أو منصب يكون هناك قيم وسلوكيات وعادات أقرها المجتمع تحكم هذه الوظيفة، وعلى كل من يشغل هذه الوظيفة أن يكتسبها (المدرس - الطبيب - الممرضة - الجندي). وبذلك فإن التطبيع الاجتماعي يرتبط بنمط السلوك المرغوب والمتوقع من أي فرد يشغل وظيفة معينة.

تكوين الذات والتنشئة الاجتماعية:

ويقصد بتكوين الذات أن يكتسب الطفل سمات خاصةً به تميزه عن باقي الأفراد أو تكون له ذات مختلفة عن ذوات الآخرين. ولا شك أن للوراثة دوراً مهماً في تكوين الذات لدى الأطفال. ويبدأ الطفل فترة تكوين ذاته عندما يدرك أن اسمه مختلف عن أسماء الآخرين... ثم يتعلم تدريجياً كيف يستجيب للمؤثرات ويستكشف العالم ونظمه... ثم تأتي مرحلة استخدامه للغة وهي مهمة جداً، حيث يشعر بأنه يستطيع أن يتفاعل مع الآخرين وينقل لهم أفكاره وحاجاته... وعندما يبدأ الطفل في التفكير مع نفسه تبدأ مرحلة جديدة من تكوين ذاته ويبدأ في تكوين شخصيته، ومن خلال تفاعله مع أفراد الأسرة والمجتمع يكوّن مخزوناً من المعلومات والمهارات تساعد على التكيف والتصرف مع المواقف المختلفة. فيتعلم الطفل كيف يتعد عن السلوكيات التي لا تحقق له إشباعاً أو التي تحدث في نفسه ضرراً... ومع النمو اللغوي تزداد سرعة التنشئة الاجتماعية للطفل وتنمو ذاته.

اللغة وعملية التنشئة الاجتماعية:

تؤثر التنشئة الاجتماعية للطفل في قدرته على استخدام اللغة كوسيلة للحوار والتفاعل مع العالم المحيط... الآباء والسماح للأبناء بالحوار والنقاش أو الطاعة وتنفيذ الأوامر... قدرة الفرد على التعبير وتمكّنه من اللغة.

التطبيع الاجتماعي والأمان العاطفي.

الطفل في حاجة إلى الأمان والحب كحاجته للأكل والشرب... وهو في حاجة إلى المدح والثناء حتى يشعر بأنه مرغوب فيه وأن أفعاله ليست دائماً خاطئة. فالمعاملة القاسية والخوف الشديد من غضب الأب أو الأم أو صياحهما في وجه الطفل يولد لديه اضطراباً نفسياً يشعر معه الطفل بأنه غير قادر على التصرف ويبدأ شعوره بالقلق والهشاشة النفسية وعدم الأمان؛ مما قد يؤدي إلى اضطراب سلوكه والجروح إلى ارتكاب الخطأ...

والأم لها دور مهم في حماية الطفل وتنشئته بطريقة صحيحة، فلا يجب أن يحرم الطفل من أمه بسبب عملها أو انشغالها مثلاً...

ويشعر الأطفال بالأمان كذلك عندما يتوافق الأب والأم في أقوالهم وما يطلبونه من أبنائهم. (علي ليلة، 2006).

من هنا فالتنشئة الاجتماعية هي عملية تتعلم مستمرة تقع على عاتق الأسرة أولاً ثم البيئة المحيطة والمجتمع ثانياً وهي ليست صراعاً دائماً، بين الفرد والجماعة؛ وإنما عملية أخذ وعطاء بينهما، تشارك فيها هيئات ومؤسسات متعددة. فإذا كانت الأسرة هي الجماعة الأولى، التي تسهم في تنشئة الأشخاص، فإن للمؤسسات الاجتماعية، كالنوادي والرفاق؛ والمؤسسات الدينية، كالجماعات والكنائس؛ والإعلامية، كالتلفزيون والصحافة والإذاعة؛ إسهاماتها المؤثرة في تنشئة أبناء المجتمع وأعضائه، فالجماعة تسعى إلى تشكيل الفرد، وإكسابه خصائص مجتمعه، وثقافته. وفي الوقت عينه، يسعى الفرد إلى تحقيق الانتماء إلى الجماعة؛ لكي يشعر بالأمن والانتماء والاحتماء النفسي. ليحقق تكيفاً شخصياً واجتماعياً ناجحاً؛ ولذلك تُعد أفضل الأساليب الوالدية للتنشئة هي تلك القائمة على التوازن في التربية ومنح المشاعر بلا إفراط باستخدام القسوة والعنف أو تفريط بالتدليل الزائد، وإنما تربية تقوم على التفاهم والاحتواء والمناقشة دون تسلط وانفراد بالرأي من جهة الأبوين، تلك التربية من شأنها أن ينشأ الطفل قوياً واثقاً من نفسه قادراً على التواصل الإيجابي مع الآخرين فالفرد كائن اجتماعي يتفاعل مع مجتمعه، وعليه أن يواجهه بصلابة نفسية وقدرة على التفاعل بسلوكيات صحية، والصحة النفسية للفرد هي مسؤولية الأسرة التي يقع على عاتقها الدور الأساسي في عملية التنشئة الاجتماعية؛ حيث تعد الأساس البنائي الأول لتنشئة إنسان سوي نفسياً وجسدياً ومتمتعاً بعوامل اللياقة النفسية، التي تجعل منه فرداً ناجحاً وصالحاً لبناء مجتمع متطور.

المراجع:

- 1 - أبو ندى، عبد الرحمن. (2007)، الصلابة النفسية وعلاقتها بضعف الحياة لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر، قسم علم النفس، غزة .
- 2 - إقبال بشير وآخرون (1997) "المهارات التي تُمكن الطفل من الاندماج في المجتمع وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية"، دراسة اجتماعية، غير منشورة، القاهرة، 63.
- 3 - سلامة، أحمد عبد العزيز (2013)، عبد السلام عبد الغفار، "علم النفس الاجتماعي"، دار النهضة العربية، القاهرة.
- 4 - المصطفى، حديّة (2006)، التنشئة الاجتماعية بالوسط الحضري بالمغرب، ترجمة محمد بن الشيخ، مطبعة Rabat Maroc net .
- 5 - السيد، الحسين بن حسن (2012)، الصلابة النفسية والمساندة الاجتماعية والاكتماب لدى عينة من طلاب

المرحلة الثانوية المتضررين وغير المتضررين من السيول بمحافظة جدة، رسالة ماجستير غير منشورة، المملكة العربية السعودية.

6 - المرجمي. سالم محمد، والشهري، عبد الله علي (2008)، الصلابة النفسية والأمن النفسي لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة أم القرى، مجلة علم النفس المعاصر والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، العدد (19)، 149.

7 - الدبور، أحمد محمد محمود (2007)، مستويات الصلابة النفسية ومدى فعالية برنامج لتنميتها لدى المعاقين بصرياً، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنوفية.

8 - عوض، خليل ميخائيل (1982)، علم النفس الاجتماعي، دار النشر المغربية.

9 - عبد الحميد، جابر وعلاء كفاقي (1993)، "معجم علم النفس والطب النفسي"، دار النهضة العربية، القاهرة، الجزء السادس.

10- زهران، حامد (1977) "علم النفس الاجتماعي"، عالم الكتب، القاهرة.

11 - حسين عبد العزيز الديني، "المدخل إلى علم النفس"، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٣.

12 - رشوان، حسين عبد الحميد (1997)، العلاقات العامة والإعلام من منظور علم الاجتماع، دار النشر الجامعية، الإسكندرية، مصر، 153.

13 - عبد الرحمن، سعد (1977)، "السلوك الإنساني"، مكتبة الفلاح، الكويت.

14 - السيد، عبد الحليم محمود (1980)، "الأسرة وإبداع الأبناء" دراسة نفسية اجتماعية لمعاملة الوالدين في علاقتها بقدرات الإبداع لدى الأبناء، غير منشورة، جامعة القاهرة.

15 - الأمين، عدنان (2004)، التنشئة الاجتماعية وتكوين الطابع، المركز الثقافي العربي.

16 - ليلة، علي (2006)، "الطفل والمجتمع - التنشئة الاجتماعية وأبعاد الانتماء الاجتماعي"، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع.

١٧- العمل، معن خليل (2004)، التنشئة الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة.

18 - الجندي، نزيه أحمد (2010)، التنشئة السوية للأبناء كما يدركها الوالدان في الأسرة العمانية - دراسة ميدانية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 36، العدد الثالث، سوريا.

19 - رضوان، شفيق (2008)، علم النفس الاجتماعي، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

20 - حيدر، فؤاد (1994)، علم النفس الاجتماعي، دراسات نظرية وتطبيقية، دار الفكر العربي، بيروت.

21 - مخيمر، عماد محمد (2011)، مقياس الصلابة النفسية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

22 - جودة، يسري محمد أبو العينين (2002)، تأثير نوعية الإعاقة - السوء والمستوى الاقتصادي والاجتماعي - على وجهة الضبط والصلابة النفسية ودافعية الإنجاز لدى الذكور، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المنوفية، كلية الآداب.

- 23 - حمزة، جيهان أحمد (2002)، دور الصلابة النفسية والمساندة الاجتماعية وتقدير الذات في إدراك المشقة والتعايش معها لدى الراشدين من الجنسين في سياق العمل، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، كلية الآداب، جامعة عين شمس.
- 24- علوى، محمد زهير (2012). العلاقة بين الصلابة النفسية ودافعية الإنجاز لدى الرياضيين من ذوي الإعاقات الحركية في الضفة الغربية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- 25 - فاتح، سعيدة (2015)، الصلابة النفسية لدى المرأة المصابة بسرطان الثدي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خيضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر..
- 26 - مخيمر، عماد محمد (2015). مقياس الصلابة النفسية، كراسة التعليمات، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.
- 27 - العنزي، عبد العزيز حجي (2009). الصلابة النفسية لدى المعاقين جسدياً في ضوء نظرية مادي، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- 28 - عودة، محمد محمد (1431)، الخبرة الصادمة وعلاقتها بأساليب التكيف مع الضغوط والمساندة الاجتماعية والصلابة النفسية لدى أطفال المناطق الحدودية، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة: كلية التربية، الجامعة الإسلامية.
- 29 - يس، نوال عبد اللطيف (2001). الضغوط النفسية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى أطفال المقابر، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.
- 30- Kobasa, S, C.(1982), "Commitment and coping in stress resistance among lawyers", Journal of personality and social psychology, vol 42, No 4, pp.707.